

الأعمال الكريمة

لفضيلة الشيخ

عطيّة الله أبي عبد الرحمن

حكيم الأبرار أحمد الشاذلي المصطفى

رحمته الله

جمعه وربّه وحققه

أبو عبد الرحمن الشاذلي

غفر الله له

الطبعة الثانية بزيادة ونقح



لتحميل الكتاب وتصفحه في الشبكة

صور
الباركود



<https://mktabaj.net/atyah>

لتحميل مجموع الأعمال وتصفحه
من خلال برنامج "التور" حصراً

صور
الباركود



<http://256c73vcfyg3wysyvzauirdxlop7m ovh4jeq2kmlqgpryw ppkgaqbbqd.onion>

الإمام الشافعي

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

كانت الطبعة الأولى في عام: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، وتأتي هذه

الطبعة الثانية -مزيدة ومنقحة بإضافات كثيرة -

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

الرقع الإلكتروني الخاص بمجموع الأعمال الكاملة للشيخ عطية الله:

<https://mktabaj.net/atyah>

وعلى شبكة التور "السفرة":

<http://256c73vcfvq3wysyvvzauirdxlop7movh4ieq2kmlaqaprywppkaaqbbqd.onion/>

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم؛ بشرط الدعاء:

للمؤلف الشيخ المجاهد: عطية الله الليبي ﷺ وتقبله وأسكنه الفردوس وأخلف الأمة عنه خيرا

ولأبطال الأمة: المجاهدين الميامين نصرهم الله وسدد رميهم وثبتهم ومكنهم، وأذل عدوهم

وللفقير لربه معد المشروع: الزبير الغزي هداه الله وعلمه وغفر له وتقبل منه، وختم له بالخير والشهادة

وللمسلمين عامة، وأهل الشام وفلسطين خاصة أزال الله أعداءهم، ومكن لشعره حكما بينهم

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertifika No: 45528
الإمام الكاملية

عنوان: للشيخ الإمام الشهيد المجاهد - العمرانية

Yamanevler M Dükkan: 1

عطية الله الليبي

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

المكتبة العالمية

الإمام الكاظم عليه السلام

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطاء الله اللبيني

جمال الدين أحمد الشاذلي المصري

الذي استشهد - تقبله الله - بغارة أمريكية صليبية على منزله في خراسان في شهر رمضان ١٤٣٢هـ، أغسطس ٢٠١١م

تقديم:

الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني الشيخ: سيف العدل المصري
الشيخ: أبي عياض التونسي الشيخ: أبي الحسن رشيد البليدي
الشيخ: أبي محمد الفقيه الليبي الشيخ: د. هانئ السباعي
الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي الشيخ: د. سامي العريدي

الطبعة الثانية - مزيخة ومنقحة -

جمعه ورتبه وحققه وخرجه أماريته:

أبو عبد الرحمن الشاذلي الزبيدي الغزي

- غفر الله له ودفن له بالشهادة في سبيله على نرك بيت المقدس -



دار الكتاب العالمي

صور أخرى.

(يَاكَ نَعْبُدُ) تلقين من العبد أن يخاطب الله C أن يقول له: إياك نعبد يا الله، وإياك نستعين؛ فهو هنا أقر واعترف بأنه يعبد الله وأنه يستعين بالله ﷻ، والثلاث الآيات الأولى كلها توصل إلى المقصود، وهو (أَهْدِنَا) توصل إلى الله بذكر صفات كماله وجلاله بالإشارة إلى أصولها - حمد وثناء وتمجيد-، هذا كله توصل إلى المقصود، ثم توصل إلى الله أكثر واعترف العبد بأنه يعبد ويستعين به على عبادته، ومقصود هذا كله هو (أَهْدِنَا) فهذا هو كل الفاتحة، وما قبل هذا هو توصل وتوطئة وسعي إليها وصيرورة إليه، ثم (أَهْدِنَا) هي مقصود الفاتحة كلها.

(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾) وصف لهذا الصراط ونعت له وتوضيح بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، بأنه غير صراط الناس الذين ضلوا وانحرفوا من المغضوب عليهم والضالين، ثم الكلام في الصراط تكميل للسؤال، الفاتحة كلها؛ سرها ولبها ومقصودها هي في كلمة (أَهْدِنَا) وهو سؤال الله الهداية وهذا المقصود الأعظم؛ أن يسأل العبد ربه ﷻ الهداية بكل معانيها:

- هداية الدلالة على الخير والشر.

- وهداية الإرشاد للعلم والمعرفة.

- وهداية العمل بمقتضى هذا العلم وهي هداية التوفيق؛ لأنه من الممكن أن يعرف المرء الخير والشر ولكن لا يعمل بمقتضاهما، فمن الذي يجعله يهتدي؟! هو الله ﷻ الذي يخلق في قلبه هداية معينة حاصلها الإرادة، فهو عرف الخير وأراده فالتقى العلم والإرادة فوق الفعل، وهذه الهدايات كلها مقصودة عندما نقول: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾) فهي داخلة بقولنا (أَهْدِنَا) نسأل الله الهداية بجميع أنواعها.

- وآخرها هداية التثبيت على هذا الطريق والهداية إلى آخر مراتب الفوز والفلاح.

(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾) أوجب الله علينا أن ندعوه ونسأله الهداية، والله ﷻ جعل لنا وسائل وأسباباً مؤدية إلى الهداية في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وفي القرآن خاصة بين لنا الله ﷻ الكثير من أسباب الهداية، التي نمرُّ عليها كثيراً ولا نتأملها جيداً ولا ننتبه إليها:

❖ الهداية: أسبابها وموانعها

أن يعرف الإنسان أنه في مقام العبودية وأنه عبد لله ﷻ، وإذا عرف الإنسان أنه عبد لله عندئذ يعرف

قدر نفسه، ويعني ذلك أنه عرف أنه محتاج ومفتقر إلى سيده ولا يعمل شيء إلا بإذن سيده ورضاه ولا يتمرد عليه، ويعرف أنه فقير ضعيف عاجز في مقابل مولاه وربّه وسيده القوي القادر المتصف بكل صفات الكمال، هذه العبودية تدفع الإنسان لأن يقول: يا رب أنا ضعيف عاجز فقير جاهل؛ فيا رب أرشدني واهدني.

أما من لا يعترف بأنه عبدٌ لله ويستكبر عن عبادته كما يفعل الطواغيت والجبابرة المتكبرين والأمم الكافرة، هؤلاء فقدوا سبباً كبيراً من أسباب الهداية؛ ولهذا فإن المتكبر يمنعه الله من الهداية، قال ﷺ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٦] المتكبر لا يحصل على العلم ولا تحصل له هداية ولو تحصل على بعض العلوم، والمستكبر لا يهتدي وسيدخل النار، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ما هي العبودية وعلى ماذا مبناها؟

مرجعها إلى التذلل والخضوع، ومعنى العبودية الأصلي مأخوذة من طريق معبد، عبده أي: ذلله، ومعبد أي: مُذللٌ لسيده.

معنى العبودية ومدارها على الذلة والخضوع.

فالعبد إذا عرف أنه عبد وحقق العبودية لجأ إلى الله ﷻ أن يهديه وبحث عن الخير والصواب وبحث عن الشيء الحسن الذي يرضي ربه ﷻ، وبحث عما ينجح ويفلح به ويسأل ربه: يا رب أعني، يا رب وفقني، يا رب أرشدني.. هذا أهم شيء.

وهذا يتضمن أشياء أخرى؛ فإذا عرف أنه عبد فسيعرف نفسه أنه جاهل وعاجز ويعرف أن نفسه مركبة من أشياء كثيرة جداً تمنعه من الهداية مثل: الهوى والشهوات، وعندئذ يلتجئ إلى الله ﷻ فيسأله ويستعين به؛ لكي يوفقه ﷻ إلى الخير الذي يرضى به الله عنه، ولهذا جاء في القرآن قوله ﷻ: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٧]، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]؛ فالذي يخشى الله ويتقيه ويرجع وينيب إليه.. هذا هو الذي يهديه الله ﷻ.

في المقابل الجبارون والمتكبرون الذين لا يخشون الله ﷻ أولئك لا يهديهم الله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٢٠]؛ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العِزِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

فأول أسباب الهداية: العبودية لله ﷻ؛ بالبحث عن الهداية والخير، حال كون الإنسان معترفاً بأنه عبد

الله، حقير جاهل ضعيف إن لم يوفقه الله ﷻ فلن يوفق، قال ﷻ في مواضع من القرآن: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٥)، (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (٣٧)، (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٥)، (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) (٥٥) [يوسف]؛ فبين لنا أن هناك أشياء تضاد الهداية وهي موانعها: كالكفر والظلم والفسق والخيانة والتكبر والعلو في الأرض، كل هذه موانع للهداية.

الهداية ليست معرفة الخير فقط، ولكن أن يعرف الخير ثم يعمل به؛ ولهذا في ظلمات الحيرة والتردد والشكوك وعندما تأتي فتن الأفكار والمناهج التي يُبتلى بها الإنسان في الدنيا وفي الاجتماع البشري والمضايق يحتاج المرء حينها إلى الهداية، والموفق والمهتدي هو الذي يهديه الله ﷻ فيوفقه لاختيار القول الصحيح ويفعل الفعل الصحيح ويكون في المكان الصحيح مع من ينبغي أن يكون معهم.

كيف يوفق المرء لهذا؟ بتوفيق من الله ﷻ، والله ﷻ أجرى أقداره كلها بأسباب، أهم سبب هو العبودية لله ﷻ بكل معانيها كالخشوع والخضوع والإنابة والتواضع والإلحاح على الله ﷻ وطلب الهداية والاعتراف والإقرار بجهل الإنسان وضعفه ومسكته وافتقاره إلى الله ﷻ أنه إن لم يهده الله لا يهتدي؛ قال الله ﷻ في الحديث القدسي من حديث أبي ذر: (يا عبادي؛ إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) (١) أي: اطلبوا مني أن أهداكم.

العبودية تستطيع أن تقول أنها السبب الجامع، لكن نحن نتكلم في بعض تفاصيلها سبب الهداية الأساسي، خشية الله ﷻ، الإنابة والتواضع والافتقار لله ﷻ، كثرة الدعاء وسؤال الله الهداية، الإلحاح على الله أن يهديه ويفتح عليه، إذا فتح الله ﷻ على العبد في العبودية وعرفه بقدر نفسه وأنه عبد لله ولجأ إلى الله، الله يهديه وبعدها لا تخف عليه، إنما قد يكون الإنسان في الجملة عبد لله ﷻ معترف بالعبودية لله مسلم خاضع له ﷻ.

الإسلام: هو إسلام الوجه لله ﷻ، الاستسلام لله ﷻ وحكمه وشرعه، أسلم الإنسان ولكن فيه انحراف وفيه معاصي وفسوق وعصيان لم يهتد في أبواب تفصيلية جزئية وإنما اهتدى الاهتداء الكلي الجملي، أي خضع للإسلام على الجملة صار مسلماً لكنه قد يكون ضالاً ضلالاً عقدياً تصورياً مقالياً، أو ضالاً عملياً؛ ككونه فاسقاً يشرب الخمر ويفعل المنكرات، فهذا الله ﷻ حرمه من أنواع الهداية، من أجزاء منها، أي أن هدايته ليست كاملة، وعندما تنقب الأسباب التي أدت به إلى أن لا

يهتدي الاهتداء الكامل لا بد أن هناك أسباب، والسبب الجملي لا بد أن يكون حاضرًا وهو نقص العبودية، كل ما كملت عبودية الإنسان لله ﷻ وحققها تحقيقًا كاملاً كان أهدى؛ فالله ﷻ يهديه ويوفقه، إذا نقصت عبوديته فتنقص هدايته بحسبها، قد يكون من تفاصيلها بعض من الآيات التي أشرنا إليها، قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ولهذا من أسباب الهداية أن يقوم الإنسان بالقسط، أن يكون منصفًا عادلاً، أن يحرص الإنسان في حياته كلها ومسيرته إلى النفس الأخير أن يكون من أهل تحقيق الحق والعدل والإنصاف والقيام بالقسط لا يرضى بغير هذا، يتعد عن الظلم بكل معانيه فلا يظلم صديقًا ولا قريبًا ولا بعيدًا ولا عدوًا.. لا يظلم أحدًا.

الظلم: ضد العدل، وهو عدم إعطاء المستحق حقه، عدم إعطاء الأشياء حقها، كل شيء له حق. والعدل بضده: وهو إعطاء كل شيء حقه ووضع كل شيء في محله، أي إذا وجدنا شيئًا جيدًا نقول جيد، شيء ممتاز نقول ممتاز ونقول هذه أحسن من هذه، العدل في كل شيء.

غالبًا الإنسان في هذه الأمور يعرفها بالعقل كالظلم والعدل ويفرق بينها، لكن كون الإنسان يلتزم بهذا المبدأ ويجعله مبدأه الذي لا يحد عنه أبدًا، أن يقوم بالقسط، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥] نقوم بالقسط، وأن لا يظلم أبدًا، ويعلم أنه إذا ظلم فبقدر ظلمه يمنعه الله من الهداية، يصرف عنه التوفيق، ترتفع عنه فتوحات الله ﷻ، وإذا قام بالقسط وحقق الحق وكان مع الحق فإن الله ﷻ يهديه ويوفقه وتؤدي الحسنة إلى حسنة أخرى ويفتح الله عليه العمل الصالح والحسنات.

إذن، من أسباب الهداية التوقّي من موانعها، ومن موانعها الظلم، ومنها الكفر بالله إذا كان بمعناه الأكبر وهو الشرك والكفر الأكبر فهذا أقصى درجاته وهو الخروج من الهداية بمعناها الكامل والخروج من الإسلام، وإن كان بمعنى الكفر الأصغر فهو المعاصي، جملة المعاصي كبيرها وصغيرها، ومنها كفر النعمة فكل الذنوب والمعاصي هي من أنواع الكفر ومن أجزاء الكفر.. فهذا بحسبه أيضًا يؤثر بالهداية.

الخيانة من موانع الهداية، فالله ﷻ لا يهدي الخائنين؛ لأن الخيانة ضد الأمانة فالله ﷻ استأمنك على شيء، العبودية كلها أمانة، والعبادات كلها أمانات، تكاليف الله كلفنا بها واستأمننا عليها أن نؤديها؛ فإذا نقصت أمانة الإنسان بحسبه تنقص هدايته وينقص حظه من الهداية، مطلوب من هذا العبد أن يكون عبدًا لله سائرًا مع أمر مولاه مفضلًا لما يفضله مولاه محبًا لما يحبه مولاه، فإذا عمل بعكس ما

يحببه الله فيكون خان الله وخان أمانته فإن الله يعاقبه ويحرمه من الهداية بمقدارها، والله ﷻ حكم عدل، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف].

هذه بعض أسباب الهداية، وخلاصتها: تحقيق معنى العبودية لله، لكن في المقالات وفي مسائل الفكر وغيرها يستعين الإنسان بهذه المعاني؛ يعلم أنه عبد لله إن لم يهده الله لا يهتدي، يعلم أن الهداية من عند الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [مآ كان لِيَتَّقِسَ أَنْ تَوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ] [يونس: ٩٩ - ١٠٠].

الهداية كلها من عند الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إذن، لا يمكن للإنسان أن يهتدي إلا أن يهديه الله ويوفقه ويعينه.. هذا الأمر يعترف به الإنسان بكل ما يملك من قوة ويقر به في نفسه ويتمثله ويجعله ممزوجاً في لحمه وعظمه وشحمه، يحقق عبودية الله ﷻ ويلجأ إليه ﷻ أن يهديه، يتعد عن الظلم والخيانة والفسوق والتمرد والخروج عن أمر الله ﷻ فيوفقه، يبحث عن الخير وعن الهداية عازماً أنه إذا ظهر له الخير فعلة وكان مع أهل الخير، فالله ﷻ يوفقه ويهديه.. هذه أهم أسباب الهداية.

ومن موانع الهداية أيضاً: هذه الحجب التي تكلمنا عن بعضها، فمن العوائق والموانع عن الهداية: حجاب العادة والإلف وحجاب الطبع، يتعود عليه الإنسان ويألفه بحيث يصبح صعباً عليه تركه، فهذه الحجب على الإنسان أن يكون مستعداً دائماً أن يتخلص منها ويتجاوزها، حجاب العادة والإلف والمواضع البشرية التي تكونت من خلال ملاساتهم لبعض في الاجتماع. من موانع الهداية: اتباع الهوى.

الهوى: ميل النفس إلى شيء تهواه؛ أي تميل نفسك إليه، وهذا تعريف بسيط للهوى. والنفس تميل إلى الشيء الذي يضرها والشيء الذي ينفعها؛ فالنفس تهوى الراحة، وتهوى الأشياء التي تلائمها وتلتذ بها، ولكن من الممكن أن يكون هذا الذي تلتذ به النفس ضاراً؛ فجاءت الشريعة بالنهي عن اتباع الهوى وبعث الرسل كلهم بالنهي عن اتباع الهوى، والرسل الذين أرسلهم الله، والكتب التي أنزلها الله جاءت كلها أمراً بمحاربة الهوى، وناهية عن اتباع الهوى.

وجعل الهوى ضد الهدى، يقول العلماء: «الهوى ضد الهدى»؛ قال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٍ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى

فَيُضَلِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ [ص: ٢٦٠].

كل الأمم التي ضلت وكل الناس الذين ضلوا من أول البشرية إلى آخرها ضلوا باتباع الهوى، إذا اتبع الإنسان هوى نفسه - أي ما تهواه نفسه - كالغلبة على الخصم والظهور والرياسة والملك وراحتها، ما ترتاح به وتلتذ وتحصيل لذاتها كلها وإن كان عاقبة هذه اللذات الهلاك والبوار، لكن النفس لا تفكر! بل تهوى وتميل إلى الشيء فتفعله.

البشر بحسبهم، هناك من هو غارق جداً في الهوى مثل الكفرة المحاربين للرسول؛ فهؤلاء غارقون في الهوى؛ استغرقهم الهوى وأخذهم، فاتبعوا أهواءهم وتركوا الهدى.

والمسلم الذي أسلم لله ﷻ ودخل في الإسلام على الجملة قد يكون لا يزال عنده بعض الأشياء التي يتبع فيها هواه كأن يأتي يتخاصم مع شخص ويعرف أن الحق مع خصمه ولكن هو يغلبه لكي لا يغلبه خصمه؛ لأنه دخل في نفسه حب الغلبة على الخصم وحب الظهور وحب الملك والشرف والرياسة، الهوى وهو من أشد الشهوات، فهي (الشهوة الخفية) كما أخبرنا ﷺ^(١).

وحب التملك؛ فالنفس تحب هذا ويظهر صورته في النساء كثيراً حب الاقتناء للملابس، والأجهزة.. إلخ، فالنفس طبيعتها هكذا، وأظهر ما تظهر في الطفل ثم النساء، أما في الرجال والشخص الكامل فيزول منه هذا فيصبح حاكماً في نفسه؛ فحب التملك والقنية، والغلبة على الناس بحيث يكون هو الغالب وأن تكون الرياسة له والملك والشرف وأن يأمر وينهى وله السلطان، وحب أن يغلب الناس الآخرين بالمعاني أيضاً بأن يكون هو الممدوح دونهم وهو الأفضل منهم وأن ينظروا إليه وهكذا، وكله يرجع ويعود لحب الرياسة «الشهوة الخفية».

وحب الشهوات التي تشتهيها النفس بالغريزة، الشهوات الحيوانية كلذة البطن كالمآكل والمشارب والتلذذات البطنية ولذة الفرج؛ فهذا ما تريده النفس، فالنفس تميل إلى الراحة وملء البطن والخمول والبيت الناعم والحمام الساخن هذا ما تحبه النفس، فإذا قلت للشخص: اذهب للجهد إلى الجبهة الفلانية، فيقول لك: لا أريد لأن الجبهة الفلانية كذا وكذا، أريد الجبهة الفلانية، يجب أن نكون محققين للحق فهذه كلها افتراضات، فنحن نقول: يا إنسان، أسأل نفسك لماذا اخترت هذا؟

(١) روى الحاكم في «المستدرک» (٧٩٤٠) أن النبي ﷺ تخوف على امته من بعده (شرك وشهوة خفية) فلما سُئِلَ عن الشهوة الخفية قال: (يُضْبِحُ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيَفْطِرُ). قال العراقي في «تخريج الإحياء»: حديث لا يصح. لكن جاء عن أبي داود السجستاني أن «الشهوة الخفية: حب الرياسة» نقله ابن عساكر في تاريخه (٢٢ / ٢٠٠) مستنداً.

هذا -مثلاً- مجاهد يجاهد في سبيل الله لديه العلم الفلاني والخبرة الفلانية؛ فطلبنا منه أن يكون في المكان المناسب لأن لديه علمًا معينًا؛ فيرفض ويطلب مكان آخر بحجة أنه لا يناسبه، نقول: لماذا اخترت هذا الاختيار؟ بل هو يجب أن يدقق ويسأل نفسه هذا السؤال.

نفسه التي بين جنبيه -كما قلنا- كأنه شخص آخر يعيش معه ويحاسب فيه، فيقول لها: لماذا اخترت هذا الاختيار وطلبت أن تكون هنا؟ فيقول: هذا المكان فيه جبال وأنا لا أستطيع أنا مريض فلا بأس، هذا عذر فخرج عن المؤاخذة.

فهذا عذر وعجز، ولكن نقول: فتش واسأل نفسك، فبعضهم يعتذر فيكون الجواب: أنا أختار كذا لأنه مكان قريب من كذا وهناك اتصالات وتليفونات، وهناك يوجد ناس يخدمونا ويقدموا لنا.. أو تقديم بعض الحلويات -مثلاً-! فنقول: هذه قصارها أن تكون مباحة، ولكن هل طلب هذا المباح يجعلك تترك العمل الفاضل المطلوب منك أن تؤديه واختير لك من قبل المسؤولين عليك ومن الأشخاص المفترض عليك اتباع أوامرهم، قيادة، إمارة، أمير، إمام، فاختارت لك أن تكون هنا، ونظرت النظر المصلحي -المصلحة الشرعية- الذي يحبه الله ويرضاه، والمفروض حسب النظر الشرعي بعد أن تشاورنا المفروض فلان يكون في هذا المكان المناسب؛ فإذا كان عندك اعتراض واخترت اختيارًا آخر ممكن تبديه وتجادل به وتقول مثلاً: الأنسب أن أكون هنا، وهناك جانب لم تنظروا فيه، واقتصر نظركم على شيء معين وغفلتم عنه ولم تراعوه؛ فهذا لا بأس به فهذا جدل يحصل، فالمقصود من الجدل هذا الوصول للخير والوصول للحق فإذا كان هذا هو المقصود فليس مذمومًا، فلا بأس به هنا بالخير وبالتالي هي أحسن، لكن إذا كان عنده شهوة خفية ويجادل ويكثر الكلام والجدال، فيجب عليه أن يسأل نفسه -مثل ما قلنا- فقد يكون ذلك لا لسبب مهم إلا أن هذا المكان فيه راحة له أو فيه أصدقاء يسهل التواصل معهم أو هناك يوجد أماكن وبيوت مريحة.. إلخ، فإما أن يكون رجح لأمر مباح فحينئذ هذا أمر مباح، فأنت -مثلاً- ذاهب إلى هناك لأكل التوت فهذا من المباح لكن المشكلة ليست هنا، المشكلة أنه أحيانًا ترك خيرًا كثيرًا من أجل حرصه على مباح؛ فهو قدّم مباحًا وأراد أن يتشبث به، وقصاراه أنه حظ نفسه وهي لذة أنه يحب التوت، لا حظ للإسلام، الإسلام لن ينتصر وأنت ذاهب لأكل التوت؛ فترك خيرًا كثيرًا وترك أمر الجماعة وأمر الأمير وربما أدى جدله إلى مشاغبة أو إلى شقاق أو إلى نقص احترام ونقص أدب وضعف في القوة الجماعية.. إلخ.

فحصلت مفاسد كثيرة في الأثناء كلها في سبيل أنك أنت ذاهب لتحقيق هدف شخصي قصاراه في

النهاية أنه مباح، لا نقول أن حبك للتوت أو إرادتك أن تأكله أنها حرام، ليس من هنا الحرمة أو ما يقاربه دعونا نقول الشيء الغير مرضي؛ أنت بسبب إرادتك لهذا المباح وتفضيلك واختيارك له وتشبثك به تركت خيراً كثيراً وأدى تركك - مثلما قلنا - إلى مشاغبات وعدم طاعة وعدم انتظام الأمر وتنغيصات وهكذا.

فهذه ينتبه إليها الإنسان، فهذا مثال يمس واقعنا في عملنا الجماعي في الجهاد، لكن المقصود أن النفس تميل دائماً إلى أشياء معروفة تميل إلى اللذات، لذة الراحة، لذة الظهور والغلبة والرياسة، لذة شهواتها الغريزية البهيمية الحيوانية التي هي لذة البطن والفرج، لذة المناظر والأسماع والنظر، النفس تميل إلى تحقيق لذاتها، جاءت الشرائع كلها وجاءت الرسل ونزلت الكتب بالنهاية عن اتباع الهوى، وضرورة ووجوب مخالفته، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]

هذا هو المعيار والمقياس، ويمكن أن تكون هذه الآية شعار.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ الطغيان: وهو مجاوزة الحد، طغى الماء: جاوز الحد.

﴿وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ أي: على الآخرة، آثرها واستحبها وفضلها وتشبث بها، تاركاً الآخرة.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ الجحيم مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ خاف مقام الله ﷻ، ونهى نفسه عما تهواه وخالفها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾.

النهى عن اتباع الهوى والأمر بمخالفة الهوى، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البجائية] دائماً في القرآن نهي عن اتباع الهوى، والهوى ضد الشريعة ضد الهداية ضد ما جاءت به الرسل.

المكذبون والمعاندون من الأمة ومن الذين أهلكهم الله كذبوا الرسل وعاندوهم، المترفون وأتباعهم يتبعون أهواءهم في القرآن، وصفهم الدائم أنهم اتبعوا أهواءهم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد] فجاءت الشرائع والرسل بالنهاية عن اتباع الهوى، مخالفة الهوى ضرورة ووجوب، فينتبه الإنسان للهوى في نفسه والمفروض أن يُفتش عليه تفتيشاً دقيقاً جداً ومتعتاً وقوياً.

التعنت ليس محموداً، لكن نقول: تفتيشاً دقيقاً حازماً عن ماذا تهوى نفسه، وإذا النفس رُوِّضت على هذا يصير سجية فيها دائماً اختيار الخير، لكن تبقى النفس أمارة بالسوء، تبقى النفس دائماً خداعة، تبقى النفس فيها دائماً النزعة تميل إلى شهواتها وغرائزها ولذاتها - هكذا طُبعت - فيكون الإنسان

دائمًا منتبهًا لنفسه ولهذا لا يتكلم في شيء عنده فيه هوى، حتى في حالة الشورى -مثلًا- في التشاور في الأمور، إذا كانت المسألة عندك فيها هوى فاحزم لنفسك قل: أنا هذا الموضوع لا أستطيع التكلم فيه؛ لأن عندي تعلقٌ ما به فأخاف أن يكون كلامي غير صادر عن تحقيق وتجرد.. هذا جيد، وهذا من عقل الإنسان أنه إذا شوور في أمر وكان له فيه هوى قال: ما أستطيع أن أتكلم في هذا، يعتذر عنه، طبعًا إذا كان هناك مجال، لكن أحيانًا لا بد أن يكون لك قول، لكن ينتبه الإنسان للهوى في نفسه انتباهًا دقيقًا جدًا جدًا.

العلماء لهم تدقيقات في هذا، في عبارة لابن رجب اقتنصتها في مسألة اتباع الهوى، يمكن أن نقرأها هنا أيضًا في مسألة الاختيارات العلمية والفكرية والمنهجية واختلاف الناس في الفكر الآن، والأطروحات التي يطرحها الناس الأهواء كثيرة في هذا، ولا يسلم إلا من سلمه الله ﷻ وقليل هم، ولا يدعي إنسان أنه سالم من الهوى أبدًا؛ لأن هذه نفس الإنسان بين جنبه كون الإنسان يدعي يقول: أنا لا أتبع الهوى.. هذا أجهل الخلق! لكن على الإنسان أن يعرف أنه مبتلى بهذا ابتلاءً شديدًا وأنه ضعيف إلا من يوفقه الله ﷻ، فمن الممكن أن يغلبه الهوى.

فلو عرف الإنسان هذه الأشياء فيكون منتبهًا لها، فيوفقه الله ﷻ ويعينه.

سؤال من أحد الحضور: يا شيخ، في اتباع النفس للهوى، أحيانًا الشخص ينظر للأشياء في نظره أنها مصلحة أو فائدة -خاصة في العمل الجهادي- بينما الأمير ينظر إلى نظرة أخرى حتى لو ما كانت فيها مصلحة ظاهرة؛ فالشخص هذا تحركه هذه الأمور فيذهب إلى ما يراه مناسبًا، والأفضل أنه الذي يعمل هو الخير، مثلًا: هو جالس في منطقة ما ليس بها عمل الآن، وهو ينظر إلى منطقة ثانية ليعمل بها.. هذه ظاهرة بها عمل فيريد أن يذهب إلى القتال والخير، بينما جلوسه هنا لو صبر والخير غير ظاهر له كان سينتج أكثر مما سينتج في المنطقة الثانية، فهو ينظر بهذه النظرة؛ لكن كيف نستطيع تقنع هؤلاء الإخوة بهذا الأمر!

النتيجة: ما مراتب الخير فيها؟ هنا خير وهنا خير، نحن نبتلى بهذا كثيرًا في عملنا، هذا أخ - مثلًا - وضعناه نحن هنا قلنا له اعمل هنا إداريًا اعمل في المكتب أو في الورشة، فيقول: أنا يا شيخ أريد أن أذهب للجبهة؛ فنقول: لماذا الجبهة؟! هو ذاهب إلى خير؛ فهو ليس ذاهبًا لرذيلة بل إلى فضيلة وخير وعمل صالح، لكن نحن نظرنا وتبين لنا من خلال النظر ومن خلال العلوم النافعة والعلم الشرعي وما يدل على الشريعة وبالتشاور والدراسة تبين للقيادة أنك أنت المفروض أن تكون هنا؛ لأنك مناسب ومحتاجون لك نحن هنا، محتاج لك الإسلام والمسلمون والجهاد والمجاهدون هنا في الورشة، وأن تصبر لأنه لا يوجد قتال في الورشة،

فقط جلوس وصناعة أشياء، ويمكن أن نحتاجك في الإعلام أو المجلة -مثلاً-؛ فنحن نؤسس للمجلة ونحتاج إخوة كثر في المجلة؛ فكثير من الناس مؤهلون أن يكونوا في المجلة فيكتبون ويفكرون وينتجون في هذه المجلة؛ فنحن محتاجون له حتى وإن كان عملاً قليلاً؛ كجماعة محتاجة أن يكون عندها مجلة، لماذا؟ لأنها منبر من خلالها نحن ندعو ونحرض ونقول بعض الأفكار، فأنا أريد أن أكتب أفكاراً، أين أكتبها؟! فنحن لا نستطيع أن نظهر كل يوم في الشاشات ونقول أفكارنا، مثل ما قلنا سابقاً أنه يجب أن يكون هناك منابر معينة نستطيع أن نتحدث فيها؛ فالمجلة مهمة.

طيب؛ هناك شخص غير مقتنع ولكن نحاول إقناعه فيأتي ويجلس ويقلق ويقول: أنا جالس هكذا أكتب فقط فأنا أريد جهاد أريد جبهة قتال.. فنقول له: اصبر، ولكن ممكن أيضاً نعطيك فرصتك في الخط نسدد ونقارب مراعاة لحاجتك أن تقاتل وتخوض تجربة جهادية، ومحتاج أيضاً لتربية نفسك للجهاد وكذلك للترويح عن نفسك، لكن هو اختياره لأن يذهب للجبهة ناتج عن محبته وغلبة حب القتال على نفسه فقط، ليس ناظرًا إلى أن الخير هنا، هذا خير وهذا خير لكن خير الخيرين هو أن أكون هنا.

بدليل أن الجماعة أمرتني أن أكون هنا واختارت لي الجماعة -العقل الجمعي هو الذي اختار-، وأنا عقلي الوحيد وهو غالب على هوى نفسي وإرادتها جعلني أختار هذا الجانب؛ فالمفروض أن الإنسان يختار الجانب الذي اختارته له الجماعة ويصبر عليه ويعلم أنه هو الخير، لكن لا بأس أنه هو إذا طال الوقت إذن هناك مدة وهناك فرصة أنه هو يطلب ممكن سنة ثم بعدها يذهب للجبهة الموسم القادم من باب تجديد النفس؛ فهذا غالب ما يحصل فيه المشاورة وتيسر، الأمور ليست صعبة لكن لا يتعنت الإنسان؛ لأنه حتى دخوله للجبهة هو تربية لنفسه، فيه معانٍ تربوية كبيرة؛ لا يكتسبها الإنسان إلا بالممارسة القتالية، وفيه عبادة كبيرة يذوق حلاوتها وطعمها ويمارسها وينال أجرها وفيه ترويح عن نفسه أيضًا؛ حتى لا يقلق في مكان واحد لأن من طبيعة الإنسان يحب التغيير والتبديل والتنويع.

والمفروض أن تخالف نفسك، اللهم إلا إذا رأيت أن الجماعة مخطئة مئة بالمئة وتبين لك خطؤها بعدم خروجك للقتال، لكن هذا في حالات قليلة أن يجزم الإنسان أن الجماعة مخطئة

هنا، فحينئذٍ ممكن أن يجادل بقوة ولكن يبقى في النهاية يجب عليه أن يطيع لأن الأمور الاجتهادية تطاع فيها القيادة حتى وإن رأى الإنسان خلافها، فهذه الأمور مبنية على قوة المعرفة وقوة العلم بـ«أين الخير»؟ ولهذا فمن الشعارات التي أعدتها «أين الخير فنفعله» هذا المفروض أن يكون شعارنا في جميع أمور حياتنا.. دُلني على الخير فقط وأنا أفعله.

يقول ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»^(١): «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يُظهر أنه يبغض الله؛ يظن أنه يبغض الله ويحب في الله وأحياناً يهجره؛ لأنه يخالف مذهبه فهو ليس الله عند التحقيق، فيجب أن ينتبه الإنسان لهذا.

«وقد يكون في نفس الأمر -الذي يبغضه في الله- معذورا، وقد لا يكون معذورا، بل يكون متبعا لهواه، مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه» فيحتمل أن يكون الإنسان الذي تقول أنت عنه «أبغضه الله» قد يكون معذورا في نفس الأمر؛ لأنه لم يعرف الحق واجتهد ولكنه لم يصب لكنه معذور، يريد للخير باحث له بادر في طلبه لكنه لم يوفق له، وقد يكون متبعا لهواه مقصرا في البحث عن معرفة الحق.

«فإن كثيرا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق» الغالب أن هذا سببه هو موافقة الإنسان لمتبوع له من إمام أو عالم أو شيخ يظن أنه لا يقول إلا الحق، فيعمل بهذا فيصير الحق متماهيا وكان الحق هو قول شيخه أو إمامه، وليس كذلك.

«وهذا الظن خطأ قطعاً، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه، فهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى، والإلف، أو العادة» قد يكون الحامل إلى الميل إلى قول معين هو مجرد الهوى مثلاً: هذا قول قومي ومشايخي ومدرستي ومشايخنا وعلمائنا فالإنسان يحب أن يكون مع قومه ويميل إلى أن يختار ما عليه قومه.

«وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله، فالواجب على المؤمن أن ينصح نفسه، ويتحرز في هذا غاية التحرز، وما أشكل منه، فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهي عنه من البغض

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٧).

المحرم» فهو ينتقد قول كثير من الناس: أنا أبغض فلان في الله، وفي الحقيقة عند التفهيش تجده يبغضه؛ لأنه يخالف مذهبه لا لمجرد أنه خالف الحق وخالف مراد الله ورضى الله ﷻ، بل لأنه خالف ما عليه، هو خالفني لأنني أنا رأيت كذا فأنا أبغضته -مثلاً- أو لأنني أنا تابع لمدرستي ومشايخي وعلمائي وقومي والألفة التي بيني وبين قومي في هذا القول وغيرها والعادة التي نحن معتادين عليها فأنا أبغضه وادعيت أنني أبغضه لأجل الله ﷻ، فهذه الإنسان يحترز منها، وكذلك أيضاً المحبة؛ فقد يقول لك أني أحبك في الله يا أخي وهذا أيضاً يقع كثيراً، ولهذا لا ينبغي التسرع في أن الإنسان يحبك أو لا يحبك في الله لكن يقولها عن تحقيق، وإن قالها يقولها عن فعل عرف أن صاحبه يستحق أن يحب في الله، والبغض أشد.

«وها هنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيراً من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً ويكون فيه -هو هذا الإمام- مجتهداً مأجوراً على اجتهاده فيه موضوعاً عنه خطؤه فيه -مغفور له- ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة» يعني عندنا إمام قال قولاً ربما يكون خطأ في نفس الأمر، أي في الحقيقة هذا القول خطأ لأن هو هذا الإمام العالم مجتهد مغفور له محطوط عنه وزره ولكن هذا ما أدى إليه اجتهاده ليس ملاماً في ذلك وهو معذور بل مأجور لكن المتبع له ويكون المنتصر لمقالته من الناس، من الأتباع، مثلاً: الإمام مالك قال قولاً، يأتي شخص منتصر للإمام مالك والمالكية يبدأ ينتصر لهذا القول، فمالك قال هذا القول اجتهاداً وهو مأجور محطوط عنه وزره، مغفور له ومجتهد لم يصب في هذه المسألة في نفس الأمر فله أجر واحد، لكن المنتصر لمقالته لا يكون بتلك المنزلة؛ لأن كثيراً من الناس يغلب عليهم الانتصار لمذهبهم، لمذهب إمامهم، لمذهب بلدتهم لما عليه قومهم واختيارهم وهكذا ومشايخهم ومدرستهم.

«ولا يكون المنتصر بمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه -الإمام الذي اتبعه هو- قد قاله؛ بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة العلم والدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده -فخطؤه معذور فيه-، وأما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظن أنه الحق إرادة علو

متبوعه وظهور كلمته أنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار للحق؛ فافهم هذا فإنه فهم عظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» اهـ.

فالمقصود: الانتصار للمقالات وللمذاهب وللآراء وللمدارس ولغيرها؛ فالإنسان ينتبه أشد الانتباه والعلماء دائماً ينبهون على هذا، والعبارات التي عثرنا عليها أبرزناها، وإلا فكلام العلماء في هذا كثير كلام المتقدمين والمتأخرين، ينتصر الإنسان أحياناً لقول أو لرأي معين أو اختيار معين، لا لكونه هو الحق في الحقيقة، لكن لكون متبوعه إمامه قال به أو جماعته، نحن الآن عندنا الجماعات، هذا اختيارها وتقول بهذا القول، الشيخ أسامة قال كذا والشيخ فلان قال كذا ونحن ومشايخنا..! لا، أنت تنتصر للحق وتكون مع الحق وإذا نصرت قولاً يجب أن تفتش وتساءل: لماذا تنصره؟ لماذا تؤيده؟ لماذا تفضله؟ لماذا تختاره؟ لماذا تمشي عليه؟ فهذا شيء مما يتعلق باتباع الهوى.

إذن: من أسباب الهداية مخالفة الهوى والتحرز من اتباعه؛ فننتبه لهذا الهوى، نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أذكر نفسي وإياكم بإخلاص النية لله ﷻ في هذه المجالس؛ حتى تكون لنا لا علينا، تكون -إن شاء الله- مجالس مباركة، ننوي مدارس العلم والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح أنفسنا، والتهيؤ لإصلاح أمتنا، والتزود بالعلم النافع والمعارف، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

عطفًا على موضوع الهداية؛ في القرآن الكريم تكرر كثيرًا أن آيات الله ﷻ في الكون، أو آياته السمعية التي جاء بها الرسل.. أنها لا تنفع إلا أصناف معينة من الناس، وأن الآيات لا تنفع في بعض المرات، لا تنفع بعض الناس، وأن آيات الله ﷻ كثيرة ولكن الناس لا ينتفعون بها إلا قليلا ينتفعون بها، هذا كثير في القرآن؛ في باب المعاني أقصد.

كقوله ﷻ: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥) [يوسف] وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١) [يونس]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٦) ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٩٧) [يونس]، وهذا كثير جدًا.

فآيات الله ﷻ مبثوثة في كونه، في خلقه ﷻ، ومعظم المقصود بالآيات هنا: الآيات الكونية؛ أي ما نصبه الله ﷻ من الدلالات والأمارات والعلامات الدالة عليه ﷻ، على الخالق ﷻ، على توحيده، والدالة على الحق وعلى الخير الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، الآيات كثيرة في كون الله ﷻ ولكن الناس لا ينتفعون بها.

هناك آيات أخرى بين الله ﷻ فيها أنه ينتفع بها أصناف من الناس، وأصناف آخرون من الناس لا ينتفعون بها؛ بسبب اتصافهم بأوصاف معينة، مثلًا؛ الله ﷻ عندما يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣] تكرر هذه في ثلاثة مواضع في القرآن^(١)، هي آيات لكن الله ﷻ أخبر أنها آيات لهؤلاء الناس ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) قالوا: قصرها عليهم؛ لأنهم

(١) بل في أربعة مواضع؛ ذكرناها في تخريج الآية.

هم المنتفعون بها، هي آيات، هي في نفسها آية، آية من آيات الله.

معنى الآية: علامة؛ يعني علامة دالة على الله ﷻ أو على مراد الله ﷻ، لكن لا ينتفع بها إلا هذا الصنف من الناس (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [إبراهيم].

في سورة سبأ - مثلاً - بعد أن قص ﷻ قصة قوم سبأ: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) يحكي الله ﷻ ما أنعم عليهم من النعم العظيمة، من الرغد في الحياة الدنيا، وحاصلها: بلدة طيبة، ورب غفور.

رب راضي عليكم وأنتم مُبجحين! نعمة كبيرة جداً كانوا فيها، وساق بعض تفاصيلها: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) سهلة وميسرة، وكل شيء ممكن حتى الخدمات والمواصلات، (سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ) (١٨) أمن! نعمة الأمن كذلك، الناس تمل حتى من النعمة، ويتمردوا ويكفرون، ولا يُقدرون النعمة ولا يشكرون، ولا يصبرون، لاحظ قلة الصبر: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) ما هي الأسفار هذه السهلة والميسرة!! وفي قراءة (بَعْدُ) وكلاهما معنى واحد: باعد وبعُد، بعَد الله وجهه من النار، (وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) لذلك، وهذا حقيقة الظلم؛ (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) مزقهم الله شذر مذر حتى صاروا يضرب بهم المثل، فيقال: تمزقوا أو تشتتوا أو تفرقوا أيادي سبأ.. هكذا عن العرب؛ فصاروا تاريخاً يتحدث بهم الناس، يتحدثون عن قصصهم ويضرب بهم المثل، فهذا كله تعقيب وتذليل، تعقيب أي: عادة القرآن أنه يختصر العبرة ويعطي الحكمة والفائدة والعبرة، والتذييلات هذه مهمة جداً ولها فقه.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (١٩) صَبَّار = فعَّال، وهذه إحدى صيغ المبالغة، أي كثير الصبر، وكذلك شكور = فعول، صيغة مبالغة من الشكر، كثير الشكر، فمعناها إن الآيات هذه ما يستفيد منها ولا تكون آيات على حقيقتها بالفعل علامات دالة ومنبهة ومفيدة للعلم إلا لهذا الصنف من الناس: من حقق الشكر على أحسن مستوى، وحقق الصبر على أحسن مستوى.

هؤلاء الناس ظلمهم الذي ظلموه أنفسهم من نوع غريب، كما تلاحظ ناس مبجحين في نعمة كبيرة ملوا من هذه النعمة! كما ملَّ بنوا إسرائيل من المن والسلوى فقالوا: (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَابِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا) [البقرة: ٦١].

فيصدر عن الإنسان أحياناً أشياء غريبة من مناقضة الحق، ومناقضة الحكمة، ومناقضة مقتضى العقل، ومناقضة أسباب الخير؛ بسبب قلة الصبر، وأنت تلاحظ في الجهاد كم من إنسان ترك كثيراً من الخير وفاته كثير من الخير؛ بسبب قلة الصبر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (يشكر الله ﷻ على النعمة، فالله ﷻ يديمها عليه؛ لأن شكر النعم سبب إدامتها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فهذا كان من ضمن ما ورد في القرآن من المواضع، وهذا كثير جداً في القرآن؛ يبين فيها الله ﷻ كما قلنا أن الآيات كثيرة في خلقه ولكن الناس عنها معرضون، الناس لا تتفكر فيها، الناس لا تتأمل، الناس لا تتبته.

أيضاً كثير من الآيات أحياناً ما تغني عن بعض الناس؛ لأنهم لا يؤمنون ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس] واحد لا يؤمن فلماذا تكثر عليه في الآيات؛ لأنه هو أصلاً ليس عنده استعداد أن يؤمن، أو أنه لم يؤمن بالبدايات حتى يضاف إليه التكميليات! ولهذا كان من سنة الله ﷻ في خلقه أنه إذا آمن العبد واهتدى يزيده هدى ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد].

وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] في البداية تأتي لهم الآيات فيتكبرون، فيصرف عنهم الآيات.

وهذا في عدة مواضع أيضاً في القرآن في الدلالة عليه، مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ [النحل: ١٠٤] لا يؤمنون بآيات الله يعني جاءتهم الآيات ولم يؤمنوا بها؛ فالله ﷻ صرف عنهم الآيات وصرّف عنهم الهداية.

مثلاً: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام].
مثلاً: في سورة الأعراف موضع الشاهد: ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١] يعني بسبب، الباء سببية، يعني بسبب تكذيبهم من قبل، تكذيبهم الأول، عاقبهم الله ﷻ بأن صرف عنهم الآيات.

هذه تكلم فيها العلماء على أن الله ﷻ يصرّف آياته عن الناس إذا لم يؤمنوا أول مرة، ولهذا ينتبه الإنسان ربما الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] هذا بعد الأمر بالاستجابة لله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا﴾ [الأنفال: ٢٤] معناها: فإن لم تستجيبوا وإن لم تفعلوا فليكن في علمكم، انتبهوا هذا تحذير وتوعد وتهديد وتخويف فاعلموا، فإن لم تستجيبوا، فليكن في علمكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ معناها: أن الله ﷻ قد يحول بينك وبين الهداية في وقت تكون محتاجاً للهداية فيه، لكن